

208851 - يتقرب إلى الله في حال الشدة أكثر منه في حال الرخاء ، ويتخوف ألا يتقبل الله منه .

## السؤال

عند التقرب إلى الله في الشدائد أكثر من الأيام العادية : أشعر بأن الله لن يتقبل عملي هذا ، لأن تقربي لله يكون في هذه الحالة بغرض تفريغ الكرب ، لا لغرض العبادة ؟

## الإجابة المفصلة

أولا :

الواجب على المسلم أن يحسن الظن بالله ، ويتهم نفسه بالتقصير ، فيكون بذلك بين الخوف والرجاء : الخوف من أن يرد عليه عمله ويؤاخذ الله بذنبه ، والرجاء في رحمة الله وعافيته وقبوله .

ثانيا :

إذا عمل العبد العمل وأراد به حسنة الدنيا والآخرة ، فلا حرج عليه في ذلك . وقد تقدم في جواب السؤال رقم : (84018) بيان أن الإنسان إذا أراد بعمله حسنى الدنيا ، وحسنى الآخرة فلا شيء عليه . قال القرافي رحمه الله :

” وَأَمَّا مُطْلَقُ التَّشْرِيكِ ، كَمَنْ جَاهَدَ لِيُحْصَلَ طَاعَةَ اللَّهِ بِالْجِهَادِ ، وَلِيُحْصَلَ الْمَالَ مِنَ الْعَنِيمَةِ : فَهَذَا لَا يَضُرُّهُ وَلَا يُحَرِّمُ عَلَيْهِ بِالْإِجْمَاعِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهُ هَذَا فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ صَامَ لِيَصِحَّ جَسَدُهُ ، أَوْ لِيُحْصَلَ لَهُ زَوَالُ مَرَضٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي يُتَأَفَى بِهَا الصِّيَامُ ، وَيَكُونُ التَّدَاوِي هُوَ مَفْضُودُهُ ، أَوْ بَعْضُ مَفْضُودِهِ ، وَالصَّوْمُ مَفْضُودُهُ مَعَ ذَلِكَ ، وَأَوْقَعَ الصَّوْمَ مَعَ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ : لَا تَفْدَحُ هَذِهِ الْمَقَاصِدُ فِي صَوْمِهِ ، بَلْ أَمَرَ بِهَا صَاحِبُ الشَّرْعِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( يَا مَعْشَرَ السَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَرَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ ) ؛ أَيُّ : قَاطِعٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُجَدِّدَ وَضُوءَهُ ، وَيُنَوِّيَ التَّبَرُّدَ أَوْ  
التَّنْظِيفَ ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ لَا يَدْخُلُ فِيهَا تَعْظِيمُ  
الْحَلْقِ ، بَلْ هِيَ تَشْرِيكُ أُمُورٍ مِنَ الْمَصَالِحِ ، لَيْسَ لَهَا إِدْرَاكُ  
، وَلَا تَصْلُحُ لِلْإِدْرَاكِ وَلَا لِلتَّعْظِيمِ ؛ فَلَا تَفْدُخُ فِي  
الْعِبَادَاتِ .

نَعَمْ ؛ لَا يَمْنَعُ أَنْ هَذِهِ الْأَعْرَاضُ الْمُخَالِطَةُ لِلْعِبَادَةِ  
قَدْ تَنْقُصُ الْأَجْرَ ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ إِذَا تَجَرَّدَتْ عَنْهَا : زَادَ  
الْأَجْرُ وَعَظَّمَتِ الثَّوَابُ ؛ أَمَّا الْإِثْمُ وَالْبُطْلَانُ : فَلَا سَبِيلَ  
إِلَيْهِ ، وَمِنْ جِهَتِهِ حَصَلَ الْفَرْقُ ، لَا مِنْ جِهَةِ كَثْرَةِ الثَّوَابِ  
وَقَلَّتِهِ " انتهى باختصار من "الفروق" (4 / 429-430)

فإذا بالغ العبد في شيء من القربات ،  
أو اجتهد في أمر من العبادات ، أو الدعاء والتضرع إلى الله تعالى ، وهو ينظر في ذلك  
كله إلى تفريج كربته ، وكشف ضره ، وإعطائه حاجته وسؤله : لم يقدر ذلك في عبادته  
ودعائه وتضرعه ، ولم يحرمه أجر هذه العبادات .

إنما المذموم أن يعمل العمل الصالح يريد به الدنيا ، ولا تخطر الآخرة له على بال ،  
فهذا لا يصح عمله ولا يقبل منه ؛ لما روى الإمام أحمد (20715) عَنْ أَبِي بِنِ  
كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : ( بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالذِّينِ  
وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمَلَ مِنْهُمْ عَمَلًا  
الْآخِرَةَ : لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ ) صححه الألباني  
في "صحيح الجامع" (2825) فإذا عمل العمل بغرض تفريج الكرب لا غير ، دون أن تكون له  
نية في طاعة الله وثوابه وابتغاء مرضاته : فهذا هو المذموم ، أما مجرد التشريك فلا  
يضره ، على ما سبق بيانه .

ومما ينبغي أن يعلم : أن التقرب إلى  
الله تعالى في حال الشدة أكثر من حال الرخاء ليس بمذموم مطلقا ؛ بل إن الله تعالى  
مدح نفسه بأنه . وحده . الذي يجيب دعوة المضطر ؛ ومعلوم أن حال المضطر لا تكون  
ملازمة له دائما ، وأن دعوته . حال اضطراره . ليست هي دعوته في حال السعة والرخاء ؛  
قال الله تعالى : ( أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوَاءَ  
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا

تَذَكَّرُونَ) النمل/62 .

وذم الله قوما من القاسية قلوبهم ، ما عرفوا ربهم في ضراء ولا سراء ، ولا ذكرهم  
البأس والبلاء بالافتقار إلى رب الأرض والسماء ؛ قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ  
لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ \* فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا  
وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ) الأنعام/42-43

أي: أخذناهم بالفقر والمرض والآفات، والمصائب، رحمة منا بهم ، لَعَلَّهُمْ  
يَتَضَرَّعُونَ إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا.  
“تفسير السعدي” (ص 256)

إنما المذموم أن يتقرب إلى الله في الشدة وينساه في الرخاء ، وهو حال الكافر  
المعاند ؛ ولذلك قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ  
سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ  
فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ) رواه الترمذي (3382) وحسنه الألباني في  
“صحيح الترمذي” .

وقد قيل: مِنْ شِيْمَةِ الْمُؤْمِنِ الشَّاكِرِ الْحَازِمِ أَنْ يَرِيَشَ  
لِلشَّهْمِ قَبْلَ الرَّمِي، وَيَلْتَجِيَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ مَسِّ  
الِاضْطِرَارِ، بِخِلَافِ الْكَافِرِ الْعَبِي؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:  
(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا  
خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) الزمر/  
8 .. ” انتهى من مرقاة المفاتيح ” (4/ 1531)

وأكمل الأحوال أن يتقرب العبد إلى ربه  
في حال الشدة تقربه إليه في حال الرخاء ، فلا يتغير بتغير الأحوال . قال ابن رجب  
رحمه الله :

” مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِالتَّقْوَى وَالطَّاعَةِ فِي حَالِ رَخَائِهِ، عَامَلَهُ  
اللَّهُ بِاللُّطْفِ وَالْإِعَانَةِ فِي حَالِ شِدَّتِهِ ” انتهى من “جامع العلوم  
والحكم” (1/ 474)

والواجب على العبد أن يجاهد نفسه في  
تصحيح نيته في عمله كله ، وطلب الآخرة بعملها ، والدنيا بأعمالها ، وأن يفتقر إلى

ربه في قبول طاعته ، وتضرعه ودعائه ، مع حسن الظن بالرب الرحمن الرحيم ، الجواد الكريم ، الشكور الحليم .

روى البخاري (7405) ومسلم (2675) ، واللفظ له ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي ) .

راجع للفائدة جواب السؤال رقم : (113177) ، (120175)  
والله تعالى أعلم .